ملحقة المدرسة العليا للأستاذة –جامعة ميلة–

السنة الأولى أستاذ التعليم الابتدائي في اللغة العربية

الأستاذ: أنور طراد المجموعة: الثانية الأفواج: 4–5–6

المحاضرة الأولى: النحو، مفهومه، وغايته، وأسباب نشأته

تمهيد:

يعد تراثنا اللغوي تراثا زاخرا بالعلوم الجليلة، والدّرر النفيسة، وضعها علماء عباقرة أفذاذ، جعلوا غايتهم حفظ هذه اللغة الخالدة، أسسوا قواعدها وأصولها، وبنوا نهجا واضحا لا ينكره إلا جاحد. والنحو من أجلّ هذه العلوم، وأكثرها فضلا، وأعزها شرفا، ارتبطت نشأته بالقرءان الكريم، فكان آلة ومفتاحا لفهم معانيه، ومعرفة أسرار تراكيبه وأساليبه، ولم ينل أي علم حظا مثل ما ناله النحو من الإحكام، والتأليف، والشرح والتفصيل، فلم تتوقف حركة التأليف فيه مذ نشأته إلى يومنا هذا.

– فما هي حدود هذا العلم؟ وما غايته؟ ومن واضعه، هوما موضوعاته...؟

ومبادئ كل فن أو علم عشرة، لا بد لأي طالب علم أن يحصّلها، وهي مجموعة في قولهم:

إن مبادئ كل فنّ عشرة...الحد والموضوع ثم الثمرة

نسبته فضله والواضع...والاسم الاستمداد حكم الشا رع

مسائل، والبعض بالبعض اكتفى...ومن درى الجميع نال الشّرفا.

1. ***حدّ النحو لغة***: يعني القصد، والشبه أو المثل، المقدار، والناحية والاتجاه، والبعض، والتحريف...

وقد جمعت هذه المعاني في بيتين، يقول الناظم:

للنحو سبع معان قد أتت لغة...جمعتها ضمن بيت مفرد كملا

قصد ومثل ومقدار وناحية... ونـوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

تقول نحوت نحوه ، أي قصدته، وذهبت اتجاهه..

2. **حد النحو اصطلاحا:** كان النحو قديما يسمى علم العربية، وكان يجمع النحو والصرف، ومن التعاريف الدقيقة التي قدّمها النحاة الأوائل، تعريف ابن جني، قال: النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة"[1]، فأنت ترى أن هذا التعريف يجمع بين النحو وأبواب من الصرف(التثنية، الجمع..)، لأن علماء العربية قديما لم يفصلوا بين علوم العربية في الأغلب الأعم، فكانت الأصوات مدخلا لدراسة أبواب صرفية، وكان هذا الأخير(الصرف) مدخلا لدراسة النحو، فكان النحو قديما: يُعرفُ بأنه علم تُعرَفُ به أحوالُ الكلماتِ العربية مُفردةً ومر كبة.

وبالنظر إلى تعريفات بعض المتأخرين من المحدثين نجدهم قد قصروا النّحو على معرفة تغير أحوال أواخر الكلمات رفعا ونصبا وجرا وجزما، فقالوا: أنه العلم الذي تعرف به أحوال أواخر الكلم من إعراب وبناء"، فهذا التعريف وإن كان صحيحا فإنه حصر غاية النحو وضيق مجاله، لأن النحو أشمل وأعم وأعظم غاية، فإنه وإن كان يُعنى –أول ما يعنى– بالنظر في أواخر الكلم، وما يعتريها من إعراب وبناء، فإنه يعنى أيضا بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر، والحذف والتقديم، والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات. ويعرف في اصطلاح العلماء أيضا على أنه: "العلم بالقواعد التي يُعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها من الإعراب والبناء وما إلى ذلك..»[2]

---

[1]أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، ج1، ص000

[2]محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية، ص000

فالنحو إذن قوانين وضعها علماء العربية تعرف بها طرق تأليف الكلام وفهمه ونسجه، ليكون موافقا لما نطقت به العرب، وموافقا لمنوالها، لا يخرج عنه.

3. **موضوعه**: الكلمات العربية من حيث تركيبُها..(مجاله الجملة وتحديد وظائف الكلمات داخل التركيب، والمقصود بالوظائف ههنا المعاني النحوية التي تتخذها الكلمات داخل التركيب من فاعلية، ومفعولية، وإضافة، وتبعية، وحالية...)

4. **ثمرته**:

- **صيانة اللسان من الوقوع في اللحن**: وقديما كان اللحن في لسان الرجل عيبا، ونقصا، ورويت كثير من الروايات التي تظهر خوفهم من الخطإ في الكلام، ولا يخفى على أحد من الناس أن كثرة اللحن يسقط هيبة صاحبه فيسخرُ منه، وأن الإعراب يرفع، وقد قيل:

اللحن يبسط من لسان الألكن وَالمرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ
لَحْنُ الشَّرِيفِ يُزِيلُهُ عَنْ قَدْرِهِ وَتَرَاهُ يَسْقُطُ مِنْ لِحَاظِ الأَعْيُنِ
وَتَرَى الوَضِيعَ إِذَا تَكَلَّمَ مُعْرِبًا نَالَ المَهَابَةَ بِاللِّسَانِ الأَلْسَنِ

- **وصيانة الذهن أيضا عن الخطإ في بيان الكلام وتبيّنه**: فعندما تحصّل النحو يمكنك أن تؤلف كلاما مبينا مطابقا لمقصدك ومبتغاك. فتعبر عن فكرك بدقة. والمقصود بالتبيّن هو أن تفهم ما تسمعه وتقرأه فهما صحيحا دقيقا، فتعرف مقصد المتكلم وهدفه في نسجه للكلام وفق طريقة معينة، كتقديمه وتأخيره لأجزاء الكلام، وحذفه، وتعريفه وتنكيره..فتفهم ذلك وتتمثل تمثلا جيدا.
- **وفهم القرءان الكريم (تراكيبه المعجزة..) والحديث النبوي الشريف**، لأنهما أصل الشريعة الإسلامية وعليهما مدارها.

وعليه فإنه من غير الصحيح أن نحصر غاية النحو في صون اللسان عن الخطإ، وإنما غايته أوسع، وثمرته أعظم، فالبارع بالنحو يستقيم لسانه وذهنه، فيعبّر دون خطإ ويبين بكلامه بدقة، ويفهم الكلام فهما صحيحا، وإذا قرأ القرءان قرأه من غير أن يلحن، وفهم جمله وتراكيبه، فتكتمل عنده التلاوة وتستقر في ذهنه المعاني.

5. **نسبته:** هو من علوم العربية (وذكر القدماء 12 علما للعربية هي: النحو والتصريف، والبيان، والبديع، والمعاني، والخط، والقافية,,,,)

6. **واضعه:** أبو الأسود الدؤلي 69هـ، بأمر من علي رضي الله عنه.

7. **استمداده:** مستمد من القرءان الكريم والسنة النبوية، وكلام العرب شعرا ونثرا(فيما يعرف بعصر الاحتجاج).

8. **حكم الشارع فيه:** هو من فروض الكفاية، وقد يتعين..لأن تعلم الدين واجب، ولا تفهم كثير من مسائل الدين إلا بفهم العربية، وما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

9. **مسائله:** المسائل وهي مباحثه وأبوابه: مثل المبتدإ والخبر، المفاعيل بأنواعها، التوابع...وهلم جرا. وسيأتي الحديث عن بعض موضوعاته..فيما هو آت من الدروس.